مدينة خارج حدود العقل!

واثق أنا من كون وجود مدينة هنا. لقد كانت حولي البارحة. ولكن أين ذهبت؟ إني لا أرى سوى قفرا ومجموعة من الكائنات الهلامية المتصارعة، المتحركة كتروس آلة عملاقة. أترانـي في كابوس ثقيل؟ لا أظن؛ فأنا في تمام وعيي. يتعالى صوت داخلي:

– إذن فلتجرب شيئا يثبت لك أنك لست واهما.

أنتفض غضبا. أقول للصوت:

– لا تحدثني من وراء ستار، اظهر أمامي كي أراك.

يتجسم أمامي مثيلي. أصافحه بحرارة وكأني لم أره منذ سنوات. أعانقه متسائلا:

– كنا هنا البارحة، أليس كذلك؟

– أعتقد أننا لم نهاجر، ولكن معالم المكان مختلفة تماما.

– وتلك الآلات الإنسانية....

أكمل مستدركا:

– أنكون قد هاجرنا هجرة شعورية؟

– لا أظن؛ فنحن لم نتحجر بعد، ولا أظنها هجرة عقلية، ما رأيك في تجربة اختبار الحلم؟

– أظنها فكرة صائبة ولكن عليك أنت الخضوع للاختبار وإلا أدت إصابتنا إلى موتنا جميعا.

– لا بأس، أعرف أني مثيلك وأنك تستطيع إنقاذي حال إصابتي، ولكن بهذه المناسبة أود أن أنبهك أنك مازلت أنانيا.

– هذا افتراء.

– لماذا؟ ألم نتفق أن الاختبارات والمغامرات ستكون بيننا بالتبادل؟

– ولكنك إذا.....

– لا داعي للمبررات؛ فأنا أبغضها.

– إذن فلتبدأ الاختبار.

ننتقل من إفريز الشارع إلى عرضه. أحد الآلات الإنسانية يقود سيارة بشعة المنظر. تنتابني حالة من الغثيان حينما أرى عادمها. كان دما متقيحا. ما أن اقتربت بمنظرها البشع إلا وألقيت مثيلي أمامها. لم تتوقف بالرغم من كون المسافة الفاصلة مئات من السنوات الضوئية. دهسته تحتها. ينطلق من حنجرته صوت يرج أرجاء الكون. أراه يتزلزل متخلخلا. بدأت موجات من التضاغط المتتالي تنتاب العالم حولي. يملؤني الذعر. أسرع بحمل مثيلي والاختباء في الركن القصي من الكون. أقول معاتبا:

– ما هذا؟ زعقتك كادت تؤدي إلى كارثة كونية.

– أعتذر، لم أحتمل السيارة الوحشية.

بينما انهمكنا في الحديث إذا بأحد الكائنات الهلامية يطل علينا. سلط نحونا شيئا يشبه في جملته ذراعا بشريا مسلط السبابة. قال بصوت مقزز:

– ماذا أتى بكما إلى الركن القصي من الكون؟

أقول بقرف:

– كانت هناك موجة تضاغطات هادمة فخفنا انهيار الكون.

– هل معكما قروش وجنيهات نارية؟

– لا، فأنا لا أملك سوى قلبي وكل ما ترغبه بعده فهو لك.

– ليس له قيمة في عالمنا.

ثم قال بصوت هادر:

– هيا، فلتخرج من زاوية الكون ما دام ليس معك ما يؤهلك للبقاء فيه.

أسرع بطمس مثيلي داخلي وأهرب إلى أحد الميادين الكبرى. كانت الضجة تكاد أن تصم الآذان. أخرج مثيلي كي يؤنسني في وحدتي. بينما نقف مشاهدين ما حولنا أضغط يده منبها قائلا:

– أنظر هناك.

كان هناك مسخا يقتل آخر مقطعا إياه بمنشار ضخم بينما وقف شرطي على مقربة منهما يراقبه ملتذا بالمنظر البشع. تنطلق إلى رأسي ملايين من علامات التعجب. يسرع مثيلي إلى الشرطي قائلا:

– ألا ترى ما يفعله؟ إنها جريمة قتل مع سبق الإصرار.

ينظر إليه الشرطي متقززا ليقول بينما يكاد يبصق عليه:

– ابتعد عن وجهي أيها المسخ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك.

أندهش حتى أكاد أن أجن حينما رأيت المسخ يخرج من ملابس الضحية بعض الجنيهات النارية التي يتعاملون بها ثم يتركه آلاف من

القطع الصغيرة الممزقة. أرى الناس يمرون بجوار الأشلاء فتنطلق من أفواههم كلمات تأفف مستنكرة عدم الحفاظ على جمال ونظافة الطريق العام. يصاب مثيلي بحالة إغماء من فرط ذهوله حينما يرى جامع القمامة يجمع الأشلاء الممزقة ليلقيها في صندوق القمامة. تجيء عربة البلدية لتجمع النفايات ومنها الأشلاء. أسرع بإفاقة مثيلي قائلا:

– لا عليك، يبدو أننا في عالم أسطوري ولكنه أفظع من الكابوس.

– وما العمل؟ لابد أن نفعل شيئا.

– أقترح الذهاب للشرطة لنبلغ عما رأيناه وكذلك الإبلاغ عن تراخي رجل الأمن.

– فكرة صائبة.

نسرع صوب أحد أقسام الشرطة. يستقبلنا مسخ عجيب. يفتح محضرا لأخذ أقوالنا، حينما نخبره بما حدث يقول:

لابد من محاكمتكما.

أندهش. أستفسر عن التهمة المنسوبة إلينا. يقول:

عدم رضاءكما بقيم العصر.

يأمر بالقاءنا في الحبس. لا أصدق ما يحدث لنا. أتعرف هناك على رجل يختلف عنهم تماما. أشعر بأني عدت مرة أخرى إلى عالمي. أسأله عن التهمة المنسوبة إليه فيقول:

– لست أدري، كل ما أدريه أني كنت أصلي في أحد المساجد فتم القبض عليّ بتهمة إقامة شعائر غامضة في إحدى أماكن الآثار القومية

وتشويه الصورة الحضارية أمام الغير.

في اليوم التالي تمت محاكمتنا. نطق القاضي بهدوء:

– وبعد الاطلاع على القضية وثبوت التهمة على المتهمين حكمت المحكمة حضوريا بنفيهما إلى نقطة العدم الثلجية مليون سنة ضوئية نتيجة لاعتراضهما على مستحدثات العصر.

أشعر باختناق شديد. أنظر إلى مثيلي قائلا:

– هيا فلتنضم إليّ كي ننسحب.

وبينما تتم عملية الانضمام أفتح صدري لأوقف قلبي عن النبض بينما أجسادنا تنتقل بسرعة البرق إلى نقطة العدم الثلجية.